

العنوان:	تكبير ختم القرآن في قراءة ابن كثير وصلته بعلوم الشريعة
المصدر:	حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية
الناشر:	جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية
المؤلف الرئيسي:	الزغبى، أحمد عدنان
المجلد/العدد:	الإصدار 22
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2006
الصفحات:	345 - 372
رقم MD:	1545424
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم، علم القراءات، تجويد القرآن، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، ت. 774 هـ.
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/1545424">http://search.mandumah.com/Record/1545424</a>

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الزغبى، أحمد عدنان. (2006). تكبير ختم القرآن في قراءة ابن كثير وصلته بعلوم الشريعة. حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الإصدار 22، 345 - 372. مسترجع من <http://1545424/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

الزغبى، أحمد عدنان. "تكبير ختم القرآن في قراءة ابن كثير وصلته بعلوم الشريعة." حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية الإصدار 22 (2006): 345 - 372. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1545424>



# تكبير ختم القرآن في قراءة ابن كثير وطنه بعلم الشريعة



بقلم

د. أحمد عدنان الزغبى

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية التربية الأساسية - الكويت

جامعة الأزهر الشريف بالإسكندرية



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

وبعد ...،

فإن كتاب الله أعظم الكتب وأشرفها وأجلها، فهو منبع العلوم ومجمع الحكم، وكلما تعمقت الدراسة فيه ظهر من آياته الكبرى ما يخفي على كثير من الناس.

وواجب على المسلمين أن ينهضوا بكتابهم العظيم، فإن سر نجاحهم وتفوقهم على الأمم بمقدار تعظيمهم له وتمسكهم به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أنزل الله كتابه على أحرفٍ متعددة تيسيراً على الأمة ورحمةً بضعفائها، قال رسول الله ﷺ: [أنزل القرآن على سبعة أحرف]<sup>(٢)</sup>، وقد نبغ في سلفنا الصالح علماء قراء نجباء أتقياء، نقلوا القرآن عن سلسلاً رطباً ندياً كما أنزل، حيث أقاموا مدارس قرآنية يعلمون الناس كتاب ربه كما أنزل على قلب رسول الله ﷺ ابتغاء ربه، وبذلك شهدت الأمة بإخلاصهم وتقواهم، وأدعن أئمة العلم لهم بالدقة والضبط والإتقان بنقل كلام رب العالمين.

ونسبة القراءة إليهم نسبة اشتهار لشهرتهم ودقتهم وتعمقهم في علم القراءة، ومن هؤلاء القراء القارئ ابن كثير رحمة الله قارئ مكة الذي نسبت إليه قراءة أهل مكة، وهو أحد القراء السبعة المشهورين، فقد نقل عنه في قراءته "تكبير ختم القرآن" من سورة والضحي إلى آخر القرآن حمداً لله رب العالمين بختمه، وهي سنة فعلها الرسول ﷺ ونقلها السلف الصالح، واشتهرت واستفاضت عن أهل مكة.

ونظراً لأهمية هذا الجانب وتعلقه في علم القرآن وقراءاته أفردتها في بحث علمي، متحرياً أقوال العلماء والفقهاء وعلوم القراءة والقرآن، وقد حوى البحث على مقدمة ومطالب كما يلي:

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن، على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.

**المطلب الأول:** التعريف بالقارئ ابن كثير وبيان أصول قراءته.

**المطلب الثاني:** بيان تكبير ختم القرآن

**المطلب الثالث:** صلة التكبير بعلم القراءات.

**المطلب الرابع:** التكبير والرسم العثماني.

**المطلب الخامس:** بيان التكبير عند علماء الحديث.

**المطلب السادس:** صلة التكبير بعلم التفسير.

**المطلب السابع:** تكبير ختم القرآن عند الفقهاء

**خاتمة**

وفي الختام أسأل الله عز وجل الإخلاص في القول والعمل فما كان من صواب  
فمن الله فله الحمد والمنة. وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن يجنبي  
الزيغ والضلال.



## المطلب الأول

### التعريف بالقارئ ابن كثير وبيان أصول قراءته

#### ١- القارئ ابن كثير:

##### أ- اسمه ونشأته:

هو عبد الله بن كثير، أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة وُلِدَ بمكة سنة خمسٍ وأربعين.

وكنيته الداري لأنه كان عطاراً، والعطار تسميه العرب دارياً نسبة إلى دارين موضع بالبحرين يجلب منه الطيب.

وقد نشأ في مكة ولقي بها عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك ومجاهد بن جبير، وقد أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن السائب، ومجاهد بن جبر، ودرياس مول ابن عباس، وروى القراءة عنه: إسماعيل بن القسط، وشبل بن عباد، ومعروف بن مشكان، وغيرهم. توفي سنة عشرين ومائة<sup>(١)</sup>.

##### ب- ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على ابن كثير في تقواه وعلمه، قال أبو عمرو بن العلاء: كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد، وقال ابن مجاهد: ولم يزل عبد الله هو الإمام المجمع عليه في القراءة بمكة.

وقال الإمام الذهبي: "تصدّر للإقراء، وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن"<sup>(٢)</sup>.  
وقال ابن الجزري: "وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً أبيض اللحية طويلاً جسيماً أسمر أشهل العينين عليه السكينة والوقار"<sup>(٣)</sup>.

وقد انتشرت قراءته واستفاضت حتى أخذها أهل مكة، فصارت قراءتهم المعتمدة.

(١) تهذيب التهذيب ٢٣٦/٥، وفيات الأعيان ٤١/٣، ومعرفة القراء ٨٦/١، وسير أعلام النبلاء ٣١٨/٥، وغاية النهاية ٤٤٣/١.

(٢) معرفة القراء للإمام الذهبي ٨٧/١.

(٣) غاية النهاية ٤٤٣/١.

### ج- راويا ابن كثير:

#### ١ - أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البري:

ولقد رحمه الله في مكة، وهو مؤذن مسجد الحرام، وهو أول راوٍ لابن كثيرٍ وأكبر رواة، أستاذٌ محققٌ ضابطٌ متقنٌ، قرأ على أبيه، وعبد الله بن زياد، وعكرمة بن سليمان، ووهب بن واضح قرأ عليه الخزاعي، وأحمد بن فرح، ومحمد بن هارون، وغيرهم. وهو الذي روى عنه التكبير. توفي سنة خمس وستين ومائتين<sup>(١)</sup>.

#### ٢ - محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي، أبو عمرو المكي الملقب بـ (قنبل):

ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وقد أخذ القراءة عرضاً عن أحمد ابن محمد النبال، عن أبي الأخریط وهب بن واضح المكي، عن أبي إسحاق إسماعيل بن عبد الله، عن معروف بن مشكان عن ابن كثير، وأخذ عنه أبو ريعة بن إسحاق، وإسحاق الخزاعي، وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز ورحل الناس إليه من الأقطار. توفي سنة إحدى وتسعين و مائتين<sup>(٢)</sup>.

#### ٣ - أصل قراءة ابن كثير:

وضع علماء القراءات أصولاً لقراءة كل قارئ، وذلك تيسيراً في القراءة على طلبة العلم، وقد حوت كتب القراءات أصول القراء نظماً أو نثراً، فمن أصول القراءة عند القارئ ابن كثير ما يلي:

#### أ- صلة ميم الجمع:

ويقصد بها ميم الجمع التي وقعت قبل متحرك، فقرأها ابن كثير بضمها أي: صلّتها بواوٍ حيث وقعت، نحو: ﴿عَلَيْهِمْ غَيْرٌ﴾، ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فتصير (عليهمو غير)، (ومما رزقناهمو)<sup>(٤)</sup>.

(١) معرفة القراء للإمام الذهبي ١٧٣/١، ولسان الميزان ٢٨٣/١، وشذرات الذهب ١٢٠/٢.

(٢) معرفة القراء للإمام الذهبي ٢٣٠/١، وغاية النهاية ١٦٥/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر ٢٧٣/١، وسراج القارئ ص ٣٢.

ب- هاء الضمير:

هاء الضمير هي الهاء الزائدة الدالة على المفرد المذكر الغائب، وذلك إذا وقعت بين ساكن ومتحرك نحو: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ [البقرة: ٢]، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]، وقد قرأ ابن كثير بصلة الهاء، فإن كانت مضمونة وصلها بواوٍ، وإن كانت مكسورة وصلها بياء فتصير أثناء القراءة (فيهي هدى)، و(خذوهو فاعلتهو إلى)<sup>(١)</sup>، والمراد بالصلة إشباع الضمة حتى تصير واواً ساكنة مدية، وإشباع الكسرة حتى تصير ياءً ساكنة مدية.

ج- مد المنفصل والمتصل:

المد المنفصل:

هو أن يأتي بعد حرف المد همز منفصل عنه في كلمة أخرى، مثاله: (يا أيها)، وقد قرأ ابن كثير القصر بمقدار حركتين.

المد المتصل:

هو أن يقع بعد حرف المد همز متصل به في كلمة واحدة سواء كانت متوسطة أو متطرفة، مثاله: (نداء)، (السماء)، ويمده أربع حركات<sup>(٢)</sup>.

د- الهمزتان من كلمة:

الهمزتان من كلمة هما الهمزتان المتتاليتان في كلمة واحدة، وهما على ثلاثة أنواع:

مفتوحتان، أو مفتوحة بعدها مكسورة، أو مفتوحة بعدها مضمومة، وقد قرأ ابن كثير بتسهيل الهمزة الثانية غير مدٍّ من كل همزتي قطع التقفا في كلمة واحدة نحو: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿أَنْتُمْ﴾ [فصلت: ٩]، ﴿أُولَئِكَ﴾ [القمر: ٢٥]، وزاد في ﴿أَنْمَّة﴾ [التوبة: ١٢] حيث جاء إبدال الثانية ياء خالصة.

وقرأ ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ [آل عمران: ٧٣]، و﴿إِنَّكُمْ لَسَاتُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، و﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، و﴿ءَأَمْتُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، [الشعراء: ٤٩] بالاستفهام، وأجري الثانية

(١) أصول القراءة. على محمد الضباع ص ١٥٤.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٣٢٨، أصول القراءة ص ١٥٤.

على قاعدته المذكورة<sup>(١)</sup>، واختلف رواياه في ﴿ءَأْمَنْتُمْ﴾ [طه: ٧١] فرواه البيزي بالاستفهام ورواه قنبل بالخبار.

واختلفا أيضاً في الهمزة الأولى من ﴿ءَأْمَنْتُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، و﴿ءَأْمَنْتُمْ﴾ [الملك: ١٦]، في حالة الوصول فحققها فيهما البيزي وأبدلها وأوَّ قنبل<sup>(٢)</sup>.

هـ- الهمزتان المتتاليتان في كلمتين:

وهما على ضربين: ١- متفتتان، ٢- مختلفتان.

فأما المتفتتان فهما على ثلاث أنواع: مفتوحتين، ومضمومتين، ومكسورتين.

### ١ - المفتوحتان:

إذا تلاصق همزتا قطع من كلمتين، وانفتقا في الفتح نحو "جاء أمرنا" فقد قرأ ابن كثير من رواية البيزي بإسقاط الأول، وقيل الثانية.

### ٢ - المضمومتان والمكسورتان:

قرأ ابن كثير من رواية البيزي في المضمومتين والمكسورتين بتسهيل الأولى وتحقيق الثانية. وزاد في ﴿بِالسُّوءِ إِلَّا﴾ [يوسف: ٥٣]، إبدال الأولى وأوَّ مع إدغام الأو التي قبلها فيها.

وأما قنبل فقد روي عنه تحقيق الأول وتسهيل الثانية في الأنواع الثلاثة وجاء عنه إبدالها مدأ محضاً. ويشبهه قبل الساكن نحو ﴿جاء أمرنا﴾. ويقصره قبل المتحرك نحو: ﴿جَاءَ أَحَدٌ﴾ [النساء: ٤٣]، ويجوز في ﴿آل لُوطٍ﴾ [الحجر: ٥٩]، و[القمر: ٣٤]، وكذلك في ﴿النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وصللاً فإن وقف عليه فالإشباع فقط<sup>(٣)</sup>.

### ٣ - المختلفتان:

وإذا اختلفت الهمزتان في الشكل بأن فتحت الأولى وضمت الثانية أو كسرت نحو: ﴿جَاءَ أُمَّةٌ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، ﴿شُهَدَاءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فابن كثير يسهل الثانية

(١) أصول القراءة ص ١٥٤.

(٢) انظر سراج القارئ شرح الشاطبية ص ٦٢.

(٣) الإضاءة بأصول القراءة ص ١٥٤.

بين بين، فإن ضمت الأولى وفتحت الثانية نحو ﴿السُّفْهَاءُ أَلَا﴾ [البقرة: ١٣]، فله إبدال الثانية وواوً خالصة.

وإن كسرت الأولى وفتحت الثانية فله إبدال الثانية ياء خالصة، واختلف عنه في المكسورة بعد المضمونة نحو: ﴿يَشَاءُ إِلَيَّ﴾ [البقرة: ١٤٢] بين تسهيلها بين بين وإبدالها وواوً. ومحل التسهيل أو الإبدال في ذلك كله حال الوصل فقط، فإن وقفت على الأولى وابتدأت بالثانية فلا بد من التحقيق<sup>(١)</sup>.

و- ياء الإضافة:

وأما ياء الإضافة فقد قرأ بفتح كل ياء متكلم وقعت قبل همز قطع مفتوحة ما عدا أربع عشر موضوعاً.

وأثبت ابن كثير الياء في الحاليين: الوصول، والوقف، في ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: ١٠٥]، و﴿تُؤْتُونَ﴾ [يوسف: ٦٦]، و﴿الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، و﴿لَسُنَّ أَخْرَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٦٢]، و﴿أَنْ يَهْدِينَ﴾ [٢٤]، و﴿إِنْ تَرَنَّ﴾ [٣٩]، ﴿أَنْ يُؤْتِيَنِي﴾ [٤٠]، ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ [٦٤]، وأن تعلمن الخمسة في الكهف، و﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ﴾ [طه: ٩٣]، و﴿أَتَمِدُّونَ﴾ [النمل: ٣٦]، و﴿وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، و﴿كَالْجَوَابِ﴾ [سبأ: ١٣]، و﴿التَّلَاقِ﴾ [١٥]، و﴿التَّنَادِ﴾ [٣٢]، و﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ [٣٨] الثلاثة في غافر، و﴿الْجَوَارِ﴾ [الشورى: ٣٢]، ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨]، و﴿الْمُنَادِ﴾ [لق: ٤١]<sup>(٢)</sup>.

وأثبت البزي الياء في الحاليين أيضاً في ﴿دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]، ﴿أَكْرَمِينَ﴾ [١٥]، ﴿أَهَانِينَ﴾ [١٦] كلاهما في الفجر، وكذا بالواد فيها أيضاً، لكن وافقه فيه قنبل بخلف عنه في الوقف<sup>(٣)</sup>.

هذه أصول قراءة ابن كثير باختصار، وتوجد في كتب القراءات مفصلة كاملة تركتها للاختصار<sup>(٤)</sup>.



(١) المرجع السابق.

(٢) الإضاءة بأصول القراءة ص ١٥٥.

(٣) نشر في القراءات العشر.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢٧٣/١، الإضاءة بأصول القراءة ص ١٢٢.

## المطلب الثاني

### بيان تكبير ختم القرآن

#### تعريف التكبير:

هو قول القارئ عند ختمه للقرآن بعد صورة والضحي "الله أكبر".

الأصل فيه:

لقد ورد التكبير عن النبي ﷺ عند سورة والضحي، والأصل فيه رواية مسند الإمام أحمد بن حنبل.

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندياً يقول: اشكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلةً أو ليلتين، فأنت امرأةٌ فقال: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنز الله عز وجل ﴿وَالضُّحَىٰ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن الجزري رحمه الله: روي أبو العلاء بإسناده عن أحمد بن فرح، عن البزي<sup>(٢)</sup>: أن الأصل في ذلك أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قلى محمد ربه، فنزلت سورة "الضحى" فقال النبي ﷺ: "الله أكبر"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجزري<sup>(٤)</sup>: وهذا قول الجمهور من أئمتنا: الحسن بن غلبون، وأبي عمرو الداني، وأبي الحسن السخاوي، وغيرهم من متقدم ومتأخر.

وقد رد التكبير عن النبي ﷺ من رواية البزي عن ابن كثير، فقد روى الحاكم بإسناده، قال: حدثنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حديثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ، حدثنا أحمد ابن محمد بن القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت عكرمة ابن سليمان يقول، قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلما بغلت "الضحى" قال لي: كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، وأخبره عبد الله بن كثير:

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب سورة الضحى ٥٨٠/١٠ رقم ٤٩٥، أحمد في مسنده ١١٥/٦.

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة، أو الحسن البزي المكي المقرئ، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، قرأ على عكرمة بن سليمان، روي عنه البخاري في تاريخه، أذن في المسجد الحرام أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من "الضحى" توفي رحمه الله سنة ٢٥٠ هـ معرفة القارئ الكبار ١٧٣/١.

(٣) النشر في القراءات العشر ٤٠٦/٢.

(٤) المرجع السابق.

أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك، وأخبره ابن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجه البخاري ولا مسلم<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال الذهبي: قال يعقوب الفسوي<sup>(٢)</sup>: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: رأيت حميداً الأعرج يقرأ، والناس حوله فإذا بلغ "والضحى" كبر إذا ختم كل سورة حتى يختم.

وقد أورد حديث التكبير أبو جعفر الباذش<sup>(٣)</sup> من طريق حافظ المغرب ومحدثها أبي عمر بن عبد البر. قال أبو جعفر الباذش في كتابه الإقناع: حدثنا الحسين بن محمد الغساني الحافظ، حدثنا أبو عمر بن عبد البر، حدثنا أبو الوليد بن الفرضي، حدثنا يحيى بن مالك بن عائذ، حدثنا علي بن أبي غسان الدقاق، حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان، والعباس بن أحمد أبو الخبيب البرتي، حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أبي بزة، قال: حدثنا عكرمة بن سليمان بن كثير، قال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله فلما بلغت "والضحى" قال: كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإني قرأت على شبلى بن عباد، وعلى عبد الله بن كثير، فأمراني بذلك، وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباد أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أن الرسول ﷺ أمره بذلك. أهـ.

هذه الروايات كلها تبين سنة التكبير وصحة وروده عن النبي ﷺ، لا سيما وأنه أسند من قبل أئمة العلم والحديث.



(١) المرجع السابق.

(٢) يعقوب بن سفيان الفارسي، الفسوي، نسبة إلى فسا بفارس روى عنه الترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، قال النسائي، لا بأس به. انظر: تهذيب التهذيب ١١/٨٥.

(٣) الإقناع في القراءات السبع ٢/٨٢١.

### المطلب الثالث

## صلة التكبير بعلم القراءات

### صلته بكتاب الله:

لقد أثنى النبي ﷺ على أهل القرآن، بقوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"<sup>(١)</sup>، وهم أهل الله وخاصته، قال ﷺ: "إن الله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرين هم أهل الله وخاصته"<sup>(٢)</sup>.

يعتمد نقل القرآن بتجويده وقراءته على الأسانيد الصحيحة المثبتة والمرفوعة إلى النبي ﷺ، فعلم القراءات علم مسند بأسانيد صحيحة، ولما جمع القرآن في العهدين الراشدين اعتمد في جمعه على السماع والتلقي من الرسول ﷺ.

ومن المعلوم أن تكبير ختم القرآن كان متصلاً بعلم القراءات تلقياً وسماعاً منذ الصدر الأول في الإسلام، وأهم مرجع للقراءات الإسناد والتلقي من أفواه الشيوخ الأثبات، بالإضافة على الكتب التي صنفتها، وبالرجوع إلى كتب علم القراءات نجد أنها أفردت باباً في نهاية كتاب عن التكبير وأحكامه، لأنهم تلقوه بالأسانيد عن شيوخهم، وإذا طرأ الشك في صحة التكبير، فسيأتي الشك للقراءات القرآنية لأنهما متصلان من حيث الأداء والتلقي.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله<sup>(٣)</sup>:

خَوَاتِمَ قُرْبِ الْخَتْمِ يُرَوَى مُسَلَّسًا  
مَعَ الْحَمْدِ حَتَّى الْمُفْلِحُونَ تَوَسَّلًا  
وَبَعْضُ لَه مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَصَلًا  
لأَحْمَدَ زَادَ ابْنُ الْحَبَابِ فَهَلَّلًا  
وَعَنْ قُبَيْلٍ بَعْضُ يُتَكَبَّرُ تَسَلًا

وَفِيهِ عَنِ الْمَكِينِ تَكْبِيرُهُمْ مَعَ الْـ  
إِذَا كَبَّرُوا فِي آخِرِ النَّاسِ أَرْدَفُوا  
وَقَالَ بِهِ الْبُرِّيُّ مِنْ آخِرِ الصُّحَى  
وَقِيلَ لَفْظُهُ اللهُ أَكْبَرُ وَقَبْلَهُ  
وَقِيلَ يَهَذَا عَنْ أَبِي الْفَتْحِ فَارِسِ

(١) رواه البخاري في صحيحه، انظر صحيح البخاري ٢٣٢/٣.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم ٢١٥.

(٣) متن الشاطبية ص ٩٠.

لقد بين شراح قصيدة الإمام الشاطبي حكم التكبير وصلته بالقراءات القرآنية، وأول شارح للقصيدة الإمام السخاوي تلميذ الشاطبي، قال رحمه الله: إنَّ البزي روى عن عكرمة بن سليمان مولى شيبه أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين، قال: فلما بلغت [وَالضُّحَى]، قال لي: كَبَّرْ مع خاتمة كل سورة حتى تختتم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك، وأخبرني أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره بن عباس أنه قرأ على أبي فأمراه بذلك، وأخبره أبي أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك<sup>(١)</sup>.

ونقل التكبير الإمام أبو شامة رحمه الله، قال: "لا يختص ذلك عند جماعة من مصنفى كتب القراءات بل هو مروى عن البزي، لكن شهرته عن البزي أكثر وعنه انتشرت الآثار في ذلك"<sup>(٢)</sup>. أهـ

### سبب اختلاف القراء في موضع التكبير:

اختلف القراء في موضع التكبير، فبعض القراء جعل التكبير بعد سورة "الضحى" والبعض يكبر في أولها، والسبب في ذلك أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي وتكلم المشركون فنزل جبريل بسورة والضحى، فقرأها جبريل أولاً والنبي ﷺ يسمع، فعندما انتهى من قراءتها فرح النبي ﷺ، فكبر فرحاً نزول جبريل، فقال: الله أكبر.

فمن جعل التكبير بعد سورة والضحى، استدل أن جبريل عليه السلام عندما انتهى من القراءة كَبَّر النبي ﷺ لقراءة جبريل، فجعل التكبير لقراءة جبريل عليه السلام، فروى التكبير آخرها.

ومن قال: أن التكبير أول سورة "والضحى" استدل أن جبريل عليه السلام عندما انتهى من القراءة كَبَّر النبي ﷺ، وقرأ بعدها سورة والضحى، فجعل التكبير لقراءة النبي ﷺ، لأن الرسول ﷺ كَبَّر أولاً ثم قرأ "والضحى" فروى التكبير أولها، والقولان صحيحان، وجاءت الرواية بهما.

(١) فتح الوصيد في شرح القصيد للإمام علم الدين السخاوي تحقيق د. أحمد الزعيبي ٢/٥٢٥.

(٢) إبراز المعاني، ص ٢٣٨.

وقد أوردت كتب القراءات التكبير من رواية البيهقي عن ابن كثير، فلا يكاد يخلو كتاب أو مؤلف إلا وأورد التكبير، مما يدل أن التكبير منقول بأسانيد صحيحة مع القراءات القرآنية.

قال المقرئ ابن الجزري: أعلم أن التكبير صح عند أهل مكة: قرائهم وعلماهم وأئمتهم ومن روى عنهم، صحة استفاضت واشتهرت وذاعت وانتشرت حتى بلغت حدّ التواتر، وقد صار على هذا العمل عند أهل الأمصار في سائر الأقطار، عند ختمهم في المحافل، واجتماعهم في المجالس لدى الأمثال، وكثير منهم يقوم به في صلاة رمضان، ولا يتركه عند الختم على أي حال كان<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجزري في منظومته<sup>(٢)</sup>:

وسنة التكبير عند الختم  
صححت عن المكين أهل العلم  
في كل حال ولدى الصلاة  
سُلسل عن أئمة ثقات

وقد أورد التكبير من الأئمة والقراء المتقدمين، الحافظ أبو عمرو الداني، حيث قال: "أعلم أيديكم الله أن البيهقي روى عن ابن كثير بإسناده أنه كان يكبر من آخر "والضحى" مع فراغه من كل سورة إلى آخر قل أعوذ برب الناس، وبهذا قرأت"<sup>(٣)</sup>.

وأسند أبو عمرو الداني وأبو القاسم الفحام، وأبو العلاء عن حنظلة بن أبي سفيان، قال قرأت على عكرمة بن خالد المخزومي، فلما بلغت والضحى، قال هيباً، قلت: ما تريد بهيباً؟

قال: كبر، فإني رأيت مشايخنا ممن قرأ على ابن عباس يأمرهم بالتكبير إذا بلغوا والضحى<sup>(٤)</sup>.

قال أبو الطيب ابن غلبون عن التكبير: وهذه سنة ماثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة التابعين، وهي سنة بمكة لا يتركونها البتة، ولا يعتبرون رواية البيهقي ولا غيره<sup>(٥)</sup>.

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٤١٠.

(٢) طبية النشر في القراءات العشر.

(٣) التيسير في القراءات السبع، ص ٢٢٦.

(٤) التيسير في القراءات السبع، ص ٢٢٦.

(٥) إبراز المعاني، ص ٧٣٥.

وقال الحافظ عمرو: لم يرفع التكبير أحدًا من القراء إلا البزي، فإن الروايات قد تطارقت عنه برفعه إلى النبي ﷺ، ومدار الجميع على رواية البزي<sup>(١)</sup>.

ولا عبرة بتضعيف أهل الحديث للبزي.

وأفرد أبو العز القلانسي بحثاً خاصاً عن التكبير، وأوده مكي بن أبي طالب، قال: تفرد به ابن كثير في رواية البزي عنه خاصة، وحجته أنها رواية نقلها عن شيوخه من أهل مكة في الختم يجعلون ذلك زيادة في تعظيم الله جل ذكره<sup>(٢)</sup> .. أه

قلت: بهذا يتضح أن علماء القراءات نقلوا التكبير أثناء تلقيهم القراءات القرآنية، فكان القارئ إذا قرأ قراءة ابن كثير من رواية البزي يأتي بالتكبير، فيأخذه عن الشيخ كما يأخذ رواية البزي عن ابن كثير، وهكذا تسلسل التكبير بأئمة ثقات إلى النبي ﷺ.

قال ابن الجزري:

وسنة التكبير عند الختم  
في كل حال ولدى الصلاة  
صحت عن المكين أهل العلم  
سلسل عن أئمة ثقات

### صيغ التكبير:

اتفق القراء أن صيغة التكبير هي: "الله أكبر" ولكن اختلفوا في الزيادة عليه، فأما البزي فروى الجمهور عنه هذا اللفظ من غير زيادة ولا نقصان، وعليه العمل.

وروى آخرون عنه التهليل ولفظه: "لا إله إلا الله والله أكبر" وهذه الزيادة من طريق ابن الحباب عن البزي، وبه قرأ الداني على أبي الفتح فارس، وهو وجه صحيح ثابت عن البزي. وهذا ما أشار الإمام الشاطبي إليه بقوله<sup>(٣)</sup>:

وقيل لفظه الله أكبر وقبله  
وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس  
لأحمد زاد بن الحباب فهلسلا  
وعن قبيل بعض بتكبيره تسلا

قال ابن غلبون: والتكبير اليوم بمكة: ((الله أكبر)) لا غير، وهو المشهور في رواية البزي<sup>(٤)</sup>.

(١) إبراز المعاني، ص ٧٣٥.

(٢) الكشف في القراءات السبع ٣٩١/٢.

(٣) متن الشاطبية، ص ٩٠.

(٤) التنكرة لابن غلبون ٦٥٦/٢.

وقال مكي: الذي قرأت به من طريق الأمصار: ((الله أكبر)) لا غير، فأما وجه التهليل، فقد رواه الحسن بن الحباب عن البيهقي<sup>(١)</sup>، وقد ذكره أبو العلاء فقال: ((لا إله إلا الله والله أكبر)).



## المطلب الرابع

### التكبير والرسم العثماني

كان قراء الأمصار يعتمدون على قوة حفظهم في ضبط الأحرف القرآنية، ولما توسعت دولة الإسلام وتزاحم الناس على القرآن تطلبه حفظاً وإتقاناً، حتى بلغ من كان يجلس في حلقة أبي الدرداء بدمشق ألف وستمئة، ومع هذه الكثرة أدى إلى الاختلاط بالحفظ المتقنين من هم أقل منهم إتقاناً وضبطاً للحروف، وخوفاً من هذا الخلل الذي بدأ يتسلل إلى قوة الحفظ العامة وفصاحة الألسنة، ولكي تبقى القراءات المتواترة متميزة عن غيرها من القراءات الشاذة ممن كان يقرأ قبل العرضة الأخيرة، وضع علماء القراءات ضوابط وقوانين يميزونها عن غيرها؛ ومن هذه الشروط:

- \* التواتر مع اتصال السند وصحته.
- \* موافقتها لرسم المصحف - الرسم العثماني - ولو احتمالاً.
- \* موافقتها لأي وجه من وجوه النحو، ولو كان الوجه مرجوحاً<sup>(٢)</sup>.

وينبغي أن يعلم أن أهم هذه الأركان هو الركن الأول، وأما الركنان الآخران فهما لازمان له، لأنه متى تحقق التواتر لزم من ذلك أن تكون موافقة للغة العرب، ولأحد المصاحف العثمانية.

هذه الضوابط هي الميزان الذي مشى عليه علماء القراءات، وبذلك ميزوا بين القراءات الصحيحة وغيرها من الشاذة والضعيفة، ثم بعدها وجدت الكتب والمصنفات في عصر التابعين ومن بعدهم.

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٩١/٢.

(٢) النشر في القراءات العشر ٩/١.

وكان الرسم الذي كتبت به المصاحف يخالف القواعد الإملائية الحديثة، وقد عرف فيما بعد بالرسم العثماني، نسبة إلى عثمان بن عفان الذي تم في عهده جمع المصحف الجمع الأخير التي استقر عليه.

وقد ساعد الرسم الذي كتبت به المصاحف على إثبات الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لقوله ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"<sup>(١)</sup>.

وقد احتل الرسم الأحرف السبعة، وما لم يحتمله الرسم، كتب بأكثر من رسم وفرقوه في المصاحف برسمين مختلفين، ومن هنا وجدت فروق يسيرة بين المصاحف العثمانية.

### مذاهب العلماء في التزام الرسم العثماني:

يقصد بالرسم العثماني رسم القرآن بالطريقة التي تمت في عهد عثمان بن عفان ﷺ، وهي الطريقة التي اعتمدها اللجنة المكلفة بنسخ مصاحف الأمصار.

ومن المعلوم أن الأصل في الكتابة أن توافق النطق من غير تعديل، إلا في الرسم العثماني فلم توافق الكتابة منطوق الكلمة موافقةً تامة، بل هناك كثير من الأحرف القرآنية رسمت رسماً خاصاً بها غير خاضع لقواعد الإملاء.

وقد ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف، واستدلوا على ذلك بأن الرسم الذي كتبت به المصاحف قد أثر عن رسول الله ﷺ، واقتدى به صحابة رسول الله ﷺ كأبي بكر وعثمان رضی الله عنهم، واستمر ذلك الرسم إلى يومنا هذا، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين أن غير الرسم.

سئل مالك إمام دار الهجرة ﷺ: هل يكتب المصحف على ما أهدته الناس من الهجاء، فقال: لا إلا على الكتابة الأولى<sup>(٢)</sup>.

وسئل في موضع آخر عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك، قال: (لا)، قال أبو عمرو الداني: يعني الواو والألف

(١) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.

(٢) رواه الداني في المقنع ص ٩، انظر: الإتيان في علوم القرآن ١٦٧/٢.

المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو: (أولوا)، قال أبو عمرو الداني: ولا مخالف في ذلك من علماء الأمة<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياءٍ أ غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقال البيهقي في الشعب: من يكتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء بالذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماء، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة<sup>(٣)</sup>.

كل هذه النصوص تؤيد وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف، لا سيما وأنه أحد أركان قبول القراءة الصحيحة.

### التكبير والرسم العثماني:

ولعل السؤال الآن، لماذا ورد التكبير في قراءة ابن كثير بعد سورة والضحي، وهو لم يرسم في المصحف العثماني، ومن أركان القراءة الصحيحة المتواترة موافقة الرسم العثماني؟

### والجواب في ذلك:

ليس في إثبات التكبير مخالفة للرسم العثماني، لأن مثبته لم يلحقه بالقرآن، ومثل ذلك الاستعاذة، وكلمة (أمين) بعد سورة الفاتحة، وأما الأركان الثلاثة في صحة القراءة، فهي بالنسبة لإثبات قرآنية الحرف صحةً وقبولاً، أما التكبير فليس حرفاً قرآنياً، وإنما أخلق بالقراءة من حيث الأداء والتلقي، وقارئ القرآن يأتي بالاستعاذة ولكنها ليست من القرآن، ولم ترسم فيه، ولكنها يأتي بها لامثال السنة في ذلك، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) المقنع ص ١٠، وانظر: الإتيان في علوم القرآن ١٦٧/٢.

(٢) الإتيان في علوم القرآن ١٦٧/٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة النحل: الآية ٩٨.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأبلغ من ذلك البسمة فإن من القراء من يفصل بها، ومنهم من لا يفصل بها، وهي مكتوبة في المصاحف، وليس التكبير مكتوباً في المصاحف، وليس هو من القرآن باتفاق المسلمين، ولم يتفق أئمة المسلمين على عدم وجوبه، ولم ينقل أحدٌ من أئمة الدين أن التكبير واجبٌ، وإنما غاية من يقرأ بحرف ابن كثير أنه يقول: إنه متسحب، وهذا خلاف البسمة"<sup>(١)</sup>.



### المطلب الخامس

## بيان التكبير عند علماء الحديث

لقد علماء الحديث حديث التكبير في مصنفاتهم دون إنكار في ذلك، وبينوا الإمام البرقي من حيث ضبطه ودقته في روايته الحديث.

قال الحافظ الذهبي في ترجمة أحمد البرقي<sup>(٢)</sup>: إمامٌ في القراءة ثبت فيها، له عن عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس الأنصار وهم يمزحون، فقال "أكثرُوا ذكر هانم اللذات" قال أبو حاتم: هذا حديثٌ باطل، فأحمد البرقي لين الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث.

قبل الخوض في آراء علماء الحديث، أود أن أذكر أن أقسام علوم الشريعة قد تعددت، وأصبح كلُّ قسمٍ فناً خاصاً يشتمل على قواعد وتفرعات مطولة، ولا ينبغي أن يحكم على حديث صحة وفساداً إلا بعد استقراء تام، والرجوع إلى أهل كل فن، فلا يصح لأهل الحديث أن يضعفوا قراءة من القراءات دون الرجوع إلى علماء القراءات والأخذ منهم، ولا يصح لأهل القراءات أن يصححوا أو يضعفوا حديثاً دون الرجوع إلى أهل الحديث، وقل من جمع وأحاط بكل العلوم، فقد تجد عالماً متقدماً في فنه واختصاصه ومقصر في فنون أخرى.

قال الإمام الذهبي: "توح بن أبي مريم مع جلالته في العلم ترك حديثه، وكذلك شيخه مع عبادته، فكم من إمامٍ في فنٍّ مقصرٍ عن غيره كسيبويه مثلاً إمامٌ في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وعبد الرحمن بن مهدي إمامٌ

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٤١٩/١٣.

(٢) انظر الميزان ١/٤٤٤، سير أعلام النبلاء ٥٠/١٢، الجرح والتعديل ٧١/٢، الضعفاء للعقيلي ١٢٧/١.

في الحديث ولا يدري ما الطب، وكفحص إماماً في القراءة تالف في الحديث. وللحروب رجال يعرفون بها"<sup>(١)</sup>.

قلت: كذلك التكبير فإنه جاء من طريق القراء، ونقل إلينا بأسانيد متواترة، وعندما حكم عليه علماء الجرح بأنه منكر الحديث إنما من حيث قواعد علم الحديث، وإلا فهو إماماً في القراءة حجةً فيها، لا سيما وأنه تنسب إليه رواية من الروايات، وصلت إلينا بأسانيد متواترة، وما أحسن ما قاله مكي بن أبي طالب رحمه الله: "المحدثون تبع للقراء في القراءة".

لقد قال الإمام الذهبي عن البيهقي: كان ثبتاً في القراءة، واهياً في الحديث لأنه كان لا يتقن الحديث، ويتقن القرآن ويجوده وإلا فهو في نفسه صادق"<sup>(٢)</sup>.

قال في تلخيص المستدرک عن البيهقي: "تكلم فيه" وعبارته هذه عن البيهقي نفسه لا عن حديثه، وإطلاق كلمة "تكلم فيه" هي أدنى درجات الجرح، وهي قريبة إلى التعديل كما هو موضح في كتب الحديث.

قال في ترجمة أحمد البيهقي"<sup>(٣)</sup>: هو أبو الحسن البيهقي المكي المقرئ، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، روى له البخاري في تاريخه، والحسن بن الحباب، ومحمد بن يوسف، وأذن في المسجد الحرام أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من "الضحى" وروى في ذلك خبراً غريباً رواه عنه جماعة.

ثم ساق الذهبي حديث التكبير .. إلى أن قال: قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجه البخاري ولا مسلم.

وقال يعقوب الفسوي: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: رأيت حميداً الأعرج يقرأ والناس حوله، فإذا بلغ "الضحى" كبر إذا ختم كل سورة، قال: وحدثنا الحميدي، قال: سألت سفيان بن عيينة، قلت: يا أبا محمد رأيت شيئاً عجيباً ربما فعله الناس عندنا يكبر القارئ في شهر رمضان إذا ختم، فقال: رأيت صدقة بن عبد الله بن كثير يؤم الناس منذ أكثر من سبعين سنة، فكان إذا ختم القرآن كبر.

(١) تذكرة الحفاظ ٣/١٠٣١.

(٢) ميزان الاعتدال ١/٥٥٨.

(٣) معرفة القراء الكبار ١/١٧٨.

وهذه الرواية التي أتى بها الإمام الذهبي تأكيداً لتأييده الرواية الأخرى، وكأنه يريد أن يدفع عنها الغرابة.

وقد روى الحديث مسلسلاً من طريق الإمام السخاوي عن ابن حجر العسقلاني، ثم قال السخاوي: هذا حديثٌ حسن التسلسل بالقراء إخراجاً الحاكم ي مستدرکه<sup>(١)</sup>.

قال السندي:

والحدث متصل من رواية البزي عن عكرمة عن إسماعيل عن ابن كثير، وهذا غير قادح في اتصال طريق ابن كثير، وأما ما نقله السخاوي من أن الذهبي تعقب تصحيح الحاكم لهذا الحديث، وقال فيه أبو حاتم: إنه ضعيف الحديث، فطعنه غير مؤثر هنا، لأنه ملحق بكيفية الأداء الذي هو ثقة فيها ضابط لها محقق متقن، فلا يقدر في ذلك كونه ضعيف الحديث في غير ما يتعلق بالقراءة.

بهذا يتبين أن التكبير لا غبار عليه، ذلك أنه نقل إلينا بطرق أداء أهل القراءة، وكان ملاماً للقراءات ملازمة غير منقطعة، ونقله من طريق أهل القراءة، لا يؤثر فيه قدح علماء الجرح والتعديل.



### المطلب السادس

## صلة التكبير بعلم التفسير

بما أن التكبير متصل بعلم القراءة، حيث روى من طريق البزي عن ابن كثير، واشتهر واستفاض عنه.

وقد أولت كتب التفسير اهتماماً بهذا الجانب، وأنت به تأييداً له، ولعل معظم كتب التفسير قد ذكرته عند سورة والضحي، وأنت بالرواية في ذلك.

قال القرطبي: "يكبر القارئ في رواية البزي عن ابن كثير، ولا يكبر في قراءة الباقيين لأنها زريعة إلى الزيادة في القرآن"<sup>(٢)</sup>.

(١) حصر الشارد مخطوط.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/٢٠.

وفي تفسير ابن كثير رحمه الله نجد أن برواية التكبير وأسندها إلى البزي، فهو يقور رحمه الله: وحكي أن الشافعي سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال أحسنت، وأصبت السنة.

قال ابن كثير: "وهذا يقتضي صحة هذا الحديث"<sup>(١)</sup>.

أما المفسر الألوسي رحمه الله فقال:

ونذب التكبير عند خاتمة هذه السورة الكريمة، وكذا بعدها إلى آخر القرآن العظيم، وساق بعدها حديث التكبير، وقال: وكان منه عليه الصلاة والسلام فرحاً بنزول الوحي بعد تأخره وبطنه، ونقل عن الشافعي أنه قال للبزي: إذا تركت التكبير من والضحي فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ، وقد ثبت نصه عن الإمامين الشافعي وأحمد رحمهما الله، ولم أطلع على نص في ذلك لأبي حنيفة ومالك رحمهما الله<sup>(٢)</sup>.

أما الإمام السيوطي فقد ذكره في تفسيره<sup>(٣)</sup> وساق الرواية في ذلك، مؤيداً لها، وقال: فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن بن محمد، وكان إماماً في القراءات.



## المطلب السابع

### تكبير ختم القرآن عند الفقهاء

لقد بين الفقهاء حكم التكبير، مستدلين بأدلة من السنة، وعمل السلف، فقد روى أبو شامة بسنده إلى البزي، قال: قال لي محمد بن إدريس الشافعي ﷺ: إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ.

وفي رواية أخرى أن الحسن بن محمد بن عبد الله بن أبي يزيد "القرشي"<sup>(٤)</sup>، قال صليت بالناس خلف المقام بالمسجد الحرام في التراويح في شهر رمضان، فلما كان ليلة الختم كبرت من خاتمة والضحي إلى آخر القرآن في الصلاة، فلما سلمت التقت، وإذا أنا

(١) تفسر ابن كثير ٤/٥٢١.

(٢) روح المعاني ٣٠/١٦٥.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/٣٣٦٠.

(٤) هو أبو محمد المكي المقرئ، قرأ على شبل بن عباد عن ابن كثير، وذكر الهذلي أنه قرأ أيضاً على عمرو بن قيس، روى القراءة عنه حامد بن يحيى البلخي، وأحمد بن محمد بن أبي بزة، أم بالمسجد الحرام، وروى عن الشافعي رحمه الله. أه غاية النهاية ١/٢٣٢.

بأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمته الله قد صلى ورائي، فلما أبصرني، قال: ليس أحسنت، وأصبت السنة .. أه.

من هذه الرواية وغيرها أخذ الشافعية والحنابلة فعل التكبير وصار عليه العمل في المذهب، وقال به خاتمة المحققين في المذهب الشافعي ابن حجر الهيتمي، وقال به خاتمة المحققين في المذهب الشافعي ابن حجر الهيتمي، وقد أجاب على سائل بذلك.

سئل رحمة الله: هل ورد حديث صحيح في مشروعية التكبير أواخر قصار السور.

**فأجاب رحمه الله:**

حديث التكبير ورد من طرق كثيرة عن أحمد بن محمد بن أبي بزة، قال: سمعت عكرمة بن سليمان يقول: قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلما بلغت والضحي، قال لي: كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، وأخبره أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس رضى الله عنهما أمره بذلك، أخبره ابن عباس بأن أبي بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك.

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرج به البخاري ولا مسلم.

وقد يعارضه تضعيف أبي حاتم والعقيلي للبيزي، ويجاب: بأن هذا التضعيف غير مقبول، فقد رواه عن البيزي الأئمة النقات، وكفاه فخراً قول إمامنا الشافعي رحمته الله للبيزي: إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سسن نبيك صلى الله عليه وسلم، وقال ابن كثير: وهذا يقتضي صحة الحديث.

ومما يقتضي صحته أيضاً أن أهد بن حنبل رواه عن أبي بكر الأعين<sup>(١)</sup>، وكان أحمد يجتنب المنكرات، فلو كان منكراً لما رواه.

وقد صح عند أهل مكة فقهاءهم وعملائهم، ومن روى عنهم، وصحته استفاضت وانتشرت حتى بلغت حد التواتر.

وسئل رحمه الله: التكبير عند ختم القرآن أواخر السور في الصلاة هل هو سنة.

(١) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عتاب الحسن بن طريف البغدادي، أحد الأئبات، حدث عن روح بن عباد ويزيد بن هارون والفريابي وطبقتهم، وكان ثقة، روى عنه مسلم في مقدمة صحيحه، والبخاري، وثقة ابن حبان، توفي سنة ٢٤٠هـ. تذكره الحفاظ ٢/٢٥٢.

فأجاب: نعم هو سنة في الصلاة: كما نصَّ عليه الشافعي وشيخه سفيان بن عيينة وابن جريح، وغيرهم، ونقله جماعة من أئمتنا المتأخرين كأبي شامة والسخاوي والجعبري وابن جملة خطيب المسجد الأموي، وناهيك بأبي شامة الذي قال عنه التاج الفزاري: عجت له كيف قلّد الشافعي!.

وأفتوا به في صلاة التراويح، وردوا على من أنكر ذلك<sup>(١)</sup>. أه

وسئل رحمه الله<sup>(٢)</sup>: عن استحباب التكبير من سورة والضحي إلى الآخر، هل هو مختص بمن يختم القرآن من أوله إلى آخره أو عام فيمن ابتدأ القراءة منها أو مما قبلها؟

فأجاب بقوله: الذي حكاه الزركشي عن الحلبي والبيهقي وابن الجزري في النشر عن طوائف من السلف وجمع من متأخري الشافعية، وأطال فيه أن من سسن القراءة لتكبير في آخر سورة والضحي إلى أن يختم، وهي قراءة أهل مكة، أخذها ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس رضی الله عنهما عن النبي ﷺ، ورواه ابن خزيمة، وروى الحاكم في المستدرک ونحوه وصححه.

إذا تقرر ذلك علم أن التكبير يقيد بتلك السورة سواءً أقرأ قبلها شيئاً أم لا.

أما السادة الحنابلة فقد عملوا بالتكبير أخذاً بالروايات في ذلك ورواية أحمد بن حنبل عن أبي بكر الأعين عن البري.

قال الشيخ الإمام شمس الدين المقدسي في كتاب الفروع<sup>(٣)</sup>: وهل يكبر لختمة من والضحي أو ألم نشرح آخر كل سورة.

قال: فيه روايتان ولم يستحبه شيخنا كقراءة الجمهور غير ابن كثير وقيل ويهمل، وعنه لا يجوز.

قال الشارح الشيخ علاء الدين المرادي تحت قوله: "فيه روايتان": إحداهما يكبر آخر كل سورة من والضحي، وهو الصحيح، قال في المغني والشرح: "واستحب أبو عبد الله عند آخر كل سورة من والضحي إلى أن يختم، وجزم به ابن رزين في شرحه، وابن

(١) الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي، ص ٢٢٤.

(٢) الفتاوي الكبرى لابن حجر الهيتمي ١/٥٢.

(٣) ١/٥٣٣.

حمدان في رعايته الكبرى، وقدمه ابن تميم، والمصنف في آدابه، والرواية الثانية يكبر من أول ألم نشرح، اختاره المجد<sup>(١)</sup>.

قلت - القائل علاء الدين المرادي: قد صح هذا، وهذا عن رأي التكبير، فالكل حسنٌ، وتحرير النقل عن القراء أنه وقع بينهم اختلافٌ، فرواه الجمهور من أول ألم نشرح، أومن آخر والضحي على خلاف. أه

قال ابن الجزري: ورأيت أنا غير واحدٍ من شيوخنا يعمل به ويأمر من يعمل به في صلاة التراويح، وفي الإحياء في ليالي رمضان، حتى كان بعضهم إذا وصل في الإحياء إلى "الضحى" قام بما بقى من القرآن في ركعة واحدة يكبر إثر كل سورة، وفعلت أنا كذلك لما كانت أقوم بالإحياء إماماً بدمشق ومصر.

قال: ولما من الله عليّ بالمجاورة بمكة ودخل شر رمضان فلم أر أحداً ممن صلى التراويح بالمسجد الحرام إلا يكبر من الضحي عند الختم، فعلمت أنها سنة باقية منهم إلى اليوم<sup>(٢)</sup>.

وليعلم أنّ التكبير ليس من القرآن، بمعنى أنه ليس آية من آياته، ولا يكتب في المصحف وإنما يلحق بالقرآن من حيث النقل والأداء، ومثله كلمة "أمين" فإنه يسن الإتيان بها في الصلاة بعد الانتهاء من قراءة الفاتحة، وليست بقرآن ولا تكتب في المصحف.



(١) المغني لابن قدامة ١٧٢/٢.

(٢) النشر في القراءات العشر ٤٢٧/٢.

## خاتمة

وفي ختام للبحث وصلت إلى نتائج مهمة أجد من الحسن تلخيصها في عدة نقاط، وهي:

- ١- تكبير ختم القرآن أمر مسنون وقد فعله النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، واقتدى بهم التابعون وهكذا حتى نقل إلينا بأسانيد صحيحة متواترة.
  - ٢- ورد التكبير من قراءة ابن كثير المكي من رواية البزي، وهو فعل أهل مكة، حيث اشتهر واستفاض عندهم، وكانوا يكبرون في صلاة التراويح عند ختم القرآن، وما زالوا يفعلونه في القرن الثاني وحتى المائة التاسعة كما روى عنهم ذلك.
  - ٣- تكبير ختم القرآن يكون بعد سورة والضحي إلى آخر القرآن كما ورد من فعل الرسول ﷺ.
  - ٤- يتصل التكبير بعلم القراءات وعلوم القرآن، حيث نقل إلينا عن طريق نقل الرءات القرآنية.
  - ٥- ورد تكبير ختم القرآن عندا لفقهاء في المذهب الشافعي، ومذهب أهد بن حنبل، واستحسنوا فعله، لأنه مروى عن النبي ﷺ.
  - ٦- ليس التكبير من القرآن ولا يثبت في المصحف لأنه ليس منه، وإنما يخلق به من حيث كونه منقولاً معه عن طريق القراءات القرآنية.
- أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في إظهار الحق في هذه المسألة نوداً عن كتابه العظيم، وأن ينفع بهذا البحث طلبة العلم إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



## فهرس المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ط ثالثة، ١٩٥١.
- ٣- الإقناع في القراءات السبع، لابن البادش، ت: عبد المجيد قطائ، مركز البحث العلمي، دار إحياء التراث، جامعة أم القرى.
- ٤- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مصورة دار إحياء التراث العربي.
- ٥- التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، الدار السلفية، باكستان.
- ٦- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، مكتبة المثني، بغداد.
- ٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي.
- ٩- جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ثانية ١٣٧٢هـ.
- ١٠- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان السجستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ١١- سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق عبد الله يمان، دار المحاسن، مصر.
- ١٢- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، المكتبة العلمية.
- ١٣- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ١٤- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت.
- ١٥- الضعفاء الكبير للعقيلي، طبعة عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية.
- ١٦- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري ت: برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- ١٧- الفتاوي الحديثية، لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت.
- ١٨- الفتاوي الكبرى لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت.
- ١٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٠- مباحث في علوم القرآن. الشيخ مناع القطان. مكتبة المعارف، السعودية، ط ثانية ١٤١٧هـ.
- ٢١- مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جامع عبد الرحمن القاسمي النجدي، الرياض.
- ٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، قطر، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- ٢٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، بيروت، دار الفكر.
- ٢٤- معرفة القراء الكبار، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢٥- المغني لابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- ٢٦- مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج، للعلامة محمد الشربيني، المكتبة الإسلامية.
- ٢٧- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٨- النشر في القراءات العشر، للحافظ محمد بن الجزري، تحقيق محمد ابن دهمان، دمشق، مطبعة التوفيق، ١٣٤٥هـ.

